

بن سلمان يلعب بالورقة الدينية في ساحة التنافس على تجنیس المohoبيين

روض ولی العهد السعودی الامیر "محمد بن سلمان" المؤسسة الدينیة فی المملكة (هیئة الأمر بالمعروف والنھی عن المنکر) شدیدة المحافظة، وجعل من المشاعر القومیة، عوضا عن الزعامة السنیة الدينیة، دعاة للهويّة السعودیة الجدیدة فی القرن الحادی والعشرين.

لکن هويّة المستفیدین الأوائل من أمر ملکي حديث صدر مؤخرا بمنح الجنسیة للمتمیزین فی القانون والطب والعلوم والتکنولوجیا والثقافة والرياضة تشير إلی أن "بن سلمان"، على عکس المنافسین الرئیسین للملکة الذين یسعون لجذب المواهیب الأجنبیة بما فی ذلك الإمارات وقطر وسنغا فورة، یرى أن الدين مجال تنافس لا یقل أهمیة.

فحقیقة أن ما یقرب من ربع المواطنين الجدد البالغ عددهم 27 شخصا هم شخصیات دینیة سنیة وشیعیة، وبعضهم ليس مقیما فی السعودية، تلخص الأهمیة التي یعنوها "بن سلمان" إلی التنافس على القوّة الناعمة الدينیة فی دول الشرق الأوسط والبلدان الآسیویة ذات الأغلبیة المسلمة.

تجنیس رجال دین سنة وشیعیة

ومن بين المواطنين الذين تم منحهم الجنسیة السعودیة مؤخرا: المفتی السابق للبوسنة والهرسك "مصطفی سیرتش"، ورئيس "المجلس الاسکندرنی للعلاقات" عضو المجلس الأعلى في "رابطة العالم الإسلامي"، "حسین الداودی"، وأمين عام "المجلس الإسلامي العربي" في لبنان رجل الدين الشیعی "محمد الحسینی" المعروف بعدائہ لإیران ودفاعه عن إقامة علاقات مع إسرائیل، والأمين العام لـ"اللجنة الإسلامية المسيحيّة للحوار" في لبنان "محمد نمر السمّاک"، والباحث في دراسات الفكر الإسلامي عضو المجلس الأعلى في "رابطة

العالم الإسلامي" اللبناني "رضوان نايف السيد".

غالبية المواطنين الجدد هم أطباء وباحثون وعلماء ومهندسو مؤرخون بارزون. وكان علماء الدين منهم، باستثناء "الحسيني"، إما موقعين على إعلان مكة لعام 2020 الذي دعا إلى التسامح والتفاهم الثقافي والديني أو أعضاء في المجلس الأعلى لـ"رابطة العالم الإسلامي".

فقد حول "بن سلمان" الرابطة، التي كانت حتى عام 2015 وسيلة رئيسية لنشر الوهابية عالمياً، النسخة السعودية من الإسلام السنوي شديد المحافظة، إلى أداة رئيسية له لنشر رسالة التسامح الديني والحوار بين الأديان.

وهذه الرسالة تمت ترجمتها في البنية التحتية والتنمية الاقتصادية للمناطق الشيعية المحرومة بالمنطقة الشرقية الغنية بالنفط في المملكة وتعيين الشيعة كرؤساء تنفيذيين لشركات رئيسية، بما في ذلك "أرامكو"، شركة النفط المملوكة للدولة.

لكنها لم تُترجم إلى السماح للشيعة أو لأي شخص آخر في المملكة في التعبير عن أنفسهم بحرية أو انتقاد ولبي العهد أو سياسة الحكومة. كما أنه لم يدفع الحكومة إلى السماح لغير المسلمين بممارسة شعائرهم في العلن أو بناء دور عبادة لغير المسلمين.

وجاء تجنسيز شخصيات دينية لبنانية وبوسنية في وقت يمر فيه كلا البلدين بأزمة.

إذ تقود السعودية حملة مقاطعة للبنان المفلس والذي يمزقه الفساد في محاولة لكسر سيطرة "حزب الله" المليشيا المدعومة من إيران، على البلاد. ودفعت المقاطعة الدولة ذات الدخل المتوسط إلى الهاوية؛ حيث يعيش أكثر من نصف سكانها تحت خط الفقر.

وبالمثل، تقف البوسنة على حافة منحدر؛ حيث يهدد صرب البوسنة بتفجير الاتحاد القائم في هذا البلد بين المسلمين والكروات والصرب.

وتعد السعودية أحدث دولة تعلن عن برامج للجنسية أو الإقامة الدائمة المصممة لجذب المواهب العالمية. فقد أصبحت قطر عام 2018 أول دولة خليجية تُقدم على الخطوة، وتلتها سنغافورة في نوفمبر/تشرين الثاني 2020، ثم الإمارات في يناير/كانون الثاني 2021.

كما سبق أن طرحت دول مثل الإمارات وقطر برامج جنسية عبر شراء العقارات، في حين تمتلك قطر أيضا سجلا في منح الرياضيين الأجانب الجنسية لتعزيز أدائها في البطولات الدولية.

وفي عام 2017، وكأسلوب دعائي أثار جدلاً وسخرية، منحت السعودية جنسيتها إلى "صوفيا"، وهي روبوت على شكل امرأة.

وقالت "صوفيا"، التي تقلد البشر، في مؤتمر لمستثمرين رفيعي المستوى، إنها تشرفت بأن تكون أول روبوت يحصل على الجنسية السعودية.

وتعززت الرمزية في الخطوة من خلال حقيقة أن الروبوت رغم تقليله لامرأة لم يكن يرتدي غطاء رأس أو زياً يغطي شكل جسمه. ولم تكن عادات اللباس بالنسبة للنساء في المملكة متحررة بشكل كبير في ذلك الوقت.

التحرر الاجتماعي

لقد أخذت الإمارات زمام المبادرة في التحرر الاجتماعي في سعيها للبقاء جذابة للمغتربين، وتمكينها من مواجهة الجهود السعودية لإجبار الشركات التي ترغب في القيام بأعمال تجارية مع الحكومة السعودية على نقل مقارها إلى المملكة بدلاً من دبي، وإبراز الدولة على أنها منارة الاعتدال.

ومفتوحة السباق مع المملكة، كشفت الإمارات في العام الماضي عن خطط لمنح المقيمين مهلة للبحث عن وظيفة جديدة إذا أصبحوا عاطلين عن العمل بدلاً من إجبارهم على مغادرة البلاد على الفور، والسماح للأباء بكمالية تأشيرات الإقامة لأطفالهم حتى بلوغهم سن الـ25، وتخفيض قيود التأشيرة على العاملين لحساً بهم الخاص والأرامل والمطلقات.

كما أنهت الإمارات العقوبات المخففة بالنسبة لجرائم "الشرف"، وسمحت لغير المتزوجين بالإقامة معا، وألغت تجريم الكحول. كما أصلحت قوانين الأحوال الشخصية لتمكين الأجانب الذين يعيشون بها من اتباع قوانين بلادهم بشأن الطلاق والميراث، بدلا من إجبارهم على الالتزام بالتشريعات الإماراتية التي تستند إلى الشريعة الإسلامية.

وحتى الآن، لم تتبين السعودية إصلاحات مماثلة. لكن حكومة المملكة تأمل في جلب الشركات لها من خلال التحذير من أنها لن تمنح العقود للشركات التي فشلت في نقل مقارها الإقليمية إلى المملكة بحلول عام 2024.

ومن المتوقع أن تنتقل أكثر من 40 شركة إلى الرياض خلال العام المقبل، بحسب "فهد الرشيد"، الرئيس التنفيذي للهيئة الملكية لمدينة الرياض. ويأمل "الرشيد" أن تكون بلاده استقطبت 480 شركة بحلول عام 2030. وبحسب ما ورد، يحاول المسؤولون السعوديون إقناع حوالي 7000 شركة أجنبية بإنشاء متاجر لها في المملكة.

قضايا ديمografية

وتثير المنافسة على المواهب الأجنبية قضايا ديمografية قابلة للانفجار، لا سيما في دول الخليج التي تعاني من عجز المواطنة؛ حيث يكون أكثر من نصف السكان من غير المواطنين. وإلى حد ما، تعالج جهود دول الخليج لاستقطاب المواهب الأجنبية التساؤلات التي طرحتها قبل عدة سنوات "سلطان سعود القاسمي"، وهو ناشط وكاتب وجامع لوحات ورجل أعمال إماراتي، في وقت كانت مناقشة مثل هذا الموضوع من المحرمات.

ولم يكن مفاجئاً آنذاك أن أثار "القاسمي" الجدل من خلال الدعوة إلى إعادة التفكير في سياسات المواطننة الإماراتية التقليدية، التي من المرجح أن تؤدي إلى تفاقم المشكلات طويلة الأجل المرتبطة بالعجز الديموغرافي بدلا من تخفيفها. ومدد الشعور الذي كان يكتسب زخماً بين الشباب المتمرس على الإنترنت، أشار "القاسمي" إلى أن الأجانب، الذين ليس لديهم حقوق، ساهموا على مدى عقود في نجاح الإمارات.

وقال: "ربما حان الوقت في النظر في طريقة التجنис، سيفتح هذا الباب أمام رجال الأعمال والعلماء والأكاديميين وغيرهم من الأفراد المجتهدين الذين قدموا المساعدة والرعاية للبلاد كما لو كانت بلدتهم".

على نفس المنوال، اندلع الجدل عندما منحت قطر 23 رياضيًّا من 17 دولة الجنسية قبل دورة الألعاب الأولمبية في ريو دي جانيرو 2016. وشكل هؤلاء آنذاك غالبية فريق الدولة الخليجية المؤلف من 39 عضوًّا، والذي فاز بأول ميدالية ذهبية لقطر على الإطلاق. كان ذلك جدلاً أوضح للقطريين أنه لا توجد حلول سهلة للعجز الديموغرافي، الذي يمكن أن يثبت أنه لا يمكن تحمله على المدى الطويل.

ويشعر القطريون بالقلق من أن المتجمسين يمكن أن يقللوا الأمور ببلدهم رأساً على عقب. وتم تعزيز الهوية القطرية عندما أعلنت السعودية والإمارات والبحرين ومصر مقاطعة دبلوماسية واقتصادية للدولة الخليجية تم رفعها في وقت مبكر من هذا العام. وقال رجل أعمال قطري: "مع ذلك لدينا مشكلة؛ فالتجنис سيجعل الأمور أكثر صعوبة".

قضية البدون

ويعد "البدون" في الكويت وبعض دول الخليج الأخرى إحدى المجموعات التي يمكن حل مطالبات الجنسية الخاصة بها بسهولة نسبياً. وهم أقلية بدوية عديمة الجنسية؛ حيث فشلت في التسجيل للحصول على الجنسية وقت الاستقلال. وهؤلاء محرومون حالياً من الخدمات العامة، وغالباً ما يعيشون في فقر نسبي.

وقالت طالبة من البدون، تستخدم اسم "Itsaja" على "تويتر" إنها تعرضت مع طلاب آخرين للطرد الأحد الماضي من مدرسة الجهراء الثانوية الكويتية عندما تم اكتشاف أنهم من فئة البدون. ونشر العديد من الطلاب تغريدات متباقة تقريباً.

ومردة نفس الكلمات التي غردتها آخرون قالت "شمس الدين": "أنا طالبة في السنة الأخيرة علمي، أدرس مسائي، حصلت على نسبة 98% السنة الماضية، واليوم يتم طردي لأنني من #البدون مع أن جميع المستندات

المطلوبة كاملاً".

المصدر | أوراسيا ريفيو | جيمس م. دورسي - ترجمة وتحرير الخليج الجديد